حكايات خداوج العمياء

(نور القصبه الذي أطفأ القمر)

أميمة ولدمطاري

حكايات
خداوج العمياء

أميمة ولدمطاري

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

تستعرض لكم دار نسمات الأدب للنشر

الإلكتروني بعزيمة وإبداع جديد

الكتاب : حكايات خداوج العمياء

المؤلف: أميمة ولدمطاري

غلاف الكتاب: جيهان سمير

موك اب الكتاب: سلمى سامي

تنسيق داخلي: آية سحير

إدارة الدار: رزان محمد كليب

مع نسمات الأدب، أفكارك تنبض بالحياة!

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

إهداء:

إلـــى والـــديّ اللـــذان كانـــا يقصـــان علـــيّ الحكايـــا قبـــل النـــوم، فزرعـــا فـــي قلبـــي حـــب السرد.

***

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

في قلب القصبة العتيقة، حيث تتشابك الأزقة وتتعانق الحكايات، تهمس الجدران بقصص من زمن مضى... قصص عشق وفقد، مجد وانكسار. هذه قصة خداوج، جميلة القصبة، التي أضاءت نورًا رغم العمى، والتي صارت أسطورة تروى حتى اليوم.

في القرن الثامن عشر، بين عامي 1766 و1791، شهدت الجزائر أزهى عصورها تحت حكم الداي محمد بن عثمان باشا.

عهده اتسم بالاستقرار السياسي، وازدهار التجارة والزراعة والصناعة، حتى صار الأسطول البحري الجزائري قوة مهابة، تفرض سيطرتها على البحر

الأبيض المتوسط، وتحمي سواحل الجزائر من غارات الأعداء.

وفي عام 1792، نجح في تحرير وهران من قبضة الإسبان الذين احتلوها لعقود، كما وثق علاقاته مع الدول الأوروبية بعقد معاهدات تجارية تضمن ازدهار البلاد.

وفي قلب هذا العهد الزاهر، كان هناك رجل يُدعى حسن الخزناجي، أمين خزينة الدولة، رجل ثقة الداي، يحمل على كتفيه خيوط المال والاقتصاد، والمعروف بالعدل والحنكة.

كان لحسن الخزناجي ابنتان: عزيزة، زوجة باي قسنطينة، وأمًا لولدين، سيدي عمار ونفيسة. والتي إشترى لها

والـدها قصـرا فـي كتيـة الصـابون بسـكالة ، أمـا الثانيـة، فكانـت خـداوج، قـرة عينـه، مدللتـه، وحبيبتـه التـي فـتن جمالهـا أهـل القصبة.

قيـل عـن جمالهـا إنـه آيـة مـن آيـات الخـالق: وجـه مسـتدير كالبـدر ليلـة تمامـه، وبشـرة صـافية ناصـعة كأنهـا اللؤلـؤ، ووجنتـان تتـوردان خجـلًا. عيناهـا واسـعتان سـوداوان، يبرقـان ببريـق سـاحر، وشـعرها أسـود طويـل، نـاعم كأنـه حريـر الليل، ينهمر على كتفيها.

كـان أنفهـا دقيقًـا، وفمهـا مرسـومًا كزهـرة متفتحـة، وشـفتاها ممتلئتـين بلـون الرمـان، أمـا قوامهـا، فكـان يجمـع بـين الرشاقة والرقة.

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

كانت تعلم خداوج أنها آية في الجمال، فتقوم بالتزين بأغلى الحلي، وترتدي أجمل الثياب، الزاهية التي تزيد من روعتها .

كانت دائمًا ما تتطلع في المرآة، وتمسك الكحل وتكحل عينيها، تتمشى وتدور في أروقة القصر، ثم تعود لغرفتها وتمسك المرآة من جديد، وكلما كانت تكبر كانت تفرح بجمالها الذي يزداد يومًا بعد يوم.

"عينيها عسل مقطر، وحواجبها كحل مدور، وزاد طبعها لكحل، شعرها طويل كي الليل، وبشرتها بيضة كي الثلج، كحلها الغالي اللي تشريه من الباب العالي".

نسمات الادب للنشر الإلكتروني

كانت تعيش في راحة وعز وخير وخدامات، كانت وحيدة في قصرها، والوحدة علمتها تتكلم مع المرآة، تلف وتدور وترجع إليها، تمشط شعرها وتغير ثيابها وتتمختر، تدندن وتغني وترى نفسها كيف تمشي وتتكلم.

في أحد الأيام، ذهب أبوها خارج البلاد، وفي طريقه وجد مرآة مرصعة بالذهب واللؤلؤ والألماس. عندما نظر إليها تذكر ابنته خداوج، وكم ستفرح عندما يشتريها لها. اشترى المرآة وعاد للقصر. ابنته خداوج عندما رأته فرحت كثيرًا من شوقها له، وما أفرحها أكثر الهدية التي أحضرها لها. تركت مرآتها القديمة وأصبحت تتكحل وتتزين على

المـــرآة الجديـــدة. عشـــقها لتلـــك المـــرآة لا يوصـــف، أصـــبح مضـــاعفًا. تســـتيقظ عليهـــا وتنـــام عليهـــا، وتقضـــي معظـــم أوقاتهـــا وحيدة تنظر في جمالها الأخاذ.

"لكـــل جميلـــة حســـد وغيـــرة والغيـــرة والحســـد يغلقـــوا البصـــيرة وشـــر يكبـــر ويولي ماعندو حد "

وهـــذا ماحـــدث لخـــداوج وضـــعوا لهـــا الســـم فـــي الكحـــل عنـــدما زينـــت عينيهـــا، بـــدأت تـــرى الضـــباب ومـــن الضـــباب نـــور ينطفـــئ تـــدريجيا إلـــى أن أصـــبحت ظلمـــة، وصـــارت خـــداوج المبصـــرة عميـــاء، شـــعرت بحـــزن عميـــق ويـــأس لفقـــدانها القـــدرة علـــى رؤيـــة جمـــال العـــالم. كـــان الظـــلام يحـــيط بهـــا، وشـــعرت بالعزلـــة والانفصـــال عـــن

محيطها، لم يكن أحد يتوقع هذه الحادثة وإنصدم كل من كان بالقصبة عند سماع ماجرى لها، فاتنة الجمال أصبحت عمياء هذا لا يصدق وأبوها حزن عليها بشكل لايوصف.

مرت الأيام واستدعى الداي محمد بن عثمان أمين خزينته حسن الخزناجي من أجل مكافأته على عمله الجاد وشجاعته ونجاحاته المتواصلة بإعطاءه قصرا.

سعد حسن بذلك لكنه أراد إعطاء ذلك القصر لابنته خداوج، لكي يخفف عليها عما أصابها. فرحت خداوج بهدية أبيها، ولم تستسلم لمصيبتها، بل كانت انطلاقة جديدة لحياتها. ذهب نور عينيها، لكنها

أرادت تحدي الظلام وأن تجد نورها الداخلي.

بدأت خداوج بتطوير حواسها الأخرى، باعتمادها على الشم والسمع واللمس. بلغة أصابعها بدأ المعلم تعليمها كيفية قراءة الحروف الأبجدية، استخدم ألواحًا خشبية صغيرة عليها حروف بارزة، وكانت خداوج تمرر أصابعها على الحروف لكي تحفظ شكلها. بعد ذلك بدأ المعلم بتعليمها كيفية كتابة الحروف باستخدام قلم خاص وألواح خشبية عليها خطوط بارزة. كانت خداوج تتدرب لساعات طويلة كل يوم، حتى أصبحت تتقن قراءة الكتب وكتابة الرسائل عن طريق اللمس.

كانت تشعر بالفخر والسعادة على أنها قادرة على فعل كل شيء. وبملمسها كانت تستكشف قصرها، مرت يداها على الجدران المزخرفة وشعرت ببرودة الرخام ونعومة الحرير، لمست الأثاث الفاخر وشعرت بخشونة الخشب ونعومة المخمل، وفي شمها تميز بين روائح العطور والبخور وتعرف نوع الزهور، كانت تعرف نوع الطعام عند طهيه وتميز بين رائحة الطازج من الفاسد.

تستمع لتغريدة العصافير وتميز بين أصوات من يتحدثون لها.

أصبحت يداها عينيها وحواسها الأخرى أقوى، تعرف طريقها عن طريق اللمس

والسمع والشم ولا تخشى الظلام، ذهب البصر لكن البصيرة باقية.

في أحد ليالي القصبة الهادئة، كانت خداوج تجلس في شرفتها، تطلق العنان لصوتها العذب، لم تكن أغانيها مجرد نغمات بل كانت قصصًا تحكي عن حزنها، وأملها وحبها للحياة، كانت تغني عن جمال القصبة الذي لم تعد تراه وعن عبق الياسمين الذي يفوح في حديقتها وعن أصوات الباعة المتجولين التي تملأ الأزقة.

رغم فقدان خداوج لبصرها لم تفقد جاذبيتها وصوتها الآسر، وظلت محط أنظار الرجال.

كان هناك شابًا من بلاد الشام، اشتهر بعزفه على العود وكتابته للأشعار التي كانت تبكي الصخر قبل البشر. جاء إلى الجزائر بدافع شغفٍ غريب، باحثًا عن نغم جديد يلهم روحه، عن حكاية لم تُروَ بعد. سمع عن القصبة وعن الفتاة التي كانت مضرب الأمثال في الجمال.

في إحدى الليالي، كان زين الدين يمشي في الأزقة، حتى سمع صوتًا خرج من شرفة عالية. صوت خداوج، تغني بألمها وأملها، كان صوتها يحمل دفء القصبة ونبضها، وكأن كل الأحجار تنصت لها. وقف تحت شرفتها، سحره ذاك الصوت، لم يرَ خداوج، لكن قلبه أبصرها قبل أن تقع عينه عليها.

سأل عن صاحب الصوت، فقيل له إنها خداوج، ابنة حسن الخزناجي. ذهب إلى أبيها، وطلب يدها، فوافق حسن بعد تردد، ليكتشف أن هذا الغريب، رغم مظهره البسيط، يحمل قلبًا كبيرًا وروحًا شفافة.

لم ترَ خداوج وجهه، لكنه كان عينيها في الموسيقى، ورفيق دربها في الظلام والنور، كانوا منسجمين تمامًا، وكان كل منهما يفهم الآخر دون الحاجة إلى الكلام.

الشامي يعزف الألحان التي تعبر عن مشاعر خداوج، وخداوج تغني الكلمات التي تعبر عن مشاعر شامي.

" مايتزوجوا حتى يتشابهوا".

كبـــرت خـــداوج و توفيـــت عنـــد أختهـــا عزيـــــزة (فاطمـــــة)، فـــــي قصـــــر السكالة(رحمها الله).

لـــم تكـــن نهايـــة خـــداوج مجـــرد رحيـــل عـــن الجســـد، بـــل كانـــت بدايـــة لأســـطورة، قصـــة تـــروى فـــي أزقـــة القصـــبة، وتتناقلهـــا الأجيـــال، قصـــة أميـــرة عميـــاء رأت بنـــور قلبهـــا مـــالم يـــره المبصـــرون، وســـمعت بأذان روحها مالم يسمعه الأخرون.

"يـــا مـــزوق مـــن بـــرا، واش حوالـــك مـــن الداخل؟"

***

قصة خداوج تعلمنا أن الجمال ليس فيما نراه، بل فيما نحمله في قلوبنا، وأن البصيرة قد تهدي القلب إلى نور لا تدركه العيون.

هذه هي أسطورة خداوج بنت القصبة التي ليومنا هذا لازالت حاضرة في قلوب شعب الجزائر بلد المليون والنصف مليون شهيد.

تمت بحمد الله

نسمات الادب للنشر الإلكتروني